



# مركز سام للدراسات الإستراتيجية SAM CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

استفتاء كردستان العراق.. خطوة جديدة على الطريق إلى «سايكس بيكو 2»

**مدخل:**

ربما كان أحد أكبر الأخطاء التي وقعت فيها السياسة الخارجية التركية في الملف الكردي، هو الاستناد على مبدأ وجود أصدقاء لتركيا في أوساط الزعامات الكردية، وبمعنى أكثر تفصيلاً؛ الاعتماد على مسعود البارزاني، رئيس إقليم كردستان العراق، كعصب ارتكاز لتمرير السياسات التركية فيما يخص أحد أهم الخاصرات الرخوة لأمنها القومي؛ وهو الموضوع الكردي.

فلئن كان من المنطقي أن يقوم أكراد شمال سوريا، بإعلان ما يُعرف بـ"فيدرالية روج آفا"، في الحسكة والجزيرة وعفرين ومناطق أخرى من شمال وشرق وغرب سوريا، في ربيع العام 2016م، وبدءوا في تكريس ذات النمط الذي تم في شمال العراق بعد الغزو الأنجلو أمريكي لهذا البلد في العام 2003م؛ فإنه لم يكن من المتوقع إطلاقاً أن يدعم البارزاني؛ صديق تركيا الأهم والوحيد ربما بين أكراد سوريا والعراق، الاستفتاء الذي أعلن عنه مؤخراً أنه سوف يتم في سبتمبر المقبل، على انفصال إقليم كردستان العراق عن الوطن الأم.

وليس من المستغرب تصدير تركيا في هذا المجال من الحديث؛ حيث إنه بالرغم من أن إجراءات أكراد سوريا والعراق، تمس سيادة وشكل الدولة في كلٍّ من سوريا والعراق - بشكل بديهي - إلا أن الطرف الأكثر تأثراً بهذا الإعلان - مهما كانت نتائج الاستفتاء بالمناسبة - هو تركيا التي تعرف منذ العام 1984م حرباً ضروساً مع حزب العمال الكردستاني التركي،



# مركز سام للدراسات الإستراتيجية SAM CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

الذي يقاتل من داخل وخارج الحدود للانفصال بمناطق جنوب شرق تركيا، راح ضحيتها إلى الآن، ما يقرب من خمسين ألف قتيل.

وعبارة "خارج الحدود" هذه؛ شديدة الأهمية في شأن الموضوع التركي؛ حيث إن عمليات التعبئة والحشد تتم في مناطق تحت سيطرة الأكراد في شمال سوريا والعراق، وهؤلاء - الذين يدعمون أكراد تركيا الانفصاليين - هم الذين سوف ينظمون استفتاء الانفصال أو الاستقلال بحسب تعبير الأكراد.

النقطة المهمة الأخرى التي ينبغي الإشارة إليها في هذا الصدد، في مستهل مناقشة هذا الحدث الجلل بالفعل؛ هو أن التصويت في الاستفتاء، لن يتم فقط في المحافظات الثلاث التي يتشكل منها إقليم كردستان العراق، وهي: دهوك وأربيل والسليمانية، والتي تبلغ مساحتها حوالي أربعين ألف كيلومتر مربع؛ يقطنها حوالي 4 ملايين نسمة.

فالاستفتاء سوف يتضمن بحسب بيان كردي رسمي؛ "مناطق الأكراد خارج إدارة الإقليم"، ومن بين تلك المناطق مدينة كركوك، وبلدات: مخمور وخانقين وسينجار، وهي المناطق التي أعلن مساعد كبير لبارزاني، وهو هيمين هورامي، أن التصويت سيتم فيها أيضًا.

هذه المناطق هي أحد أهم العقد التي كانت ولا تزال في ملف أكراد العراق، وكانت أحد أهم أسباب النزاع المسلح الذي وقع في التسعينيات بين حكومة بغداد المركزية وقت حكم الرئيس العراقي الراحل، صدام حسين، والأكراد، وبالذات الحزب الديمقراطي الكردستاني الذي يتزعمه البارزاني.

وخلال المفاوضات التي جرت بين صدام والبارزاني، وباقي المكوّن الكردي، من أجل تهدئة الأوضاع في شمال العراق، وخروج القوات الحكومية كان منطوق رفض صدام حسين



# مركز سام للدراسات الاستراتيجية SAM CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

منح الأكراد كركوك على وجه الخصوص، هو أن كركوك تعني استكمال مقدرات الدولة في إقليم كردستان العراق؛ حيث تضمن له وضعًا جيوسياسيًا أفضل في شكل الدولة المزمعة، وكذلك تضمن له استكمال مقوماته الاقتصادية؛ حيث تحتوي على مكامن النفط الأهم في العراق، ومن بينها حقل بابا كركر العملاق.

كما أنها - مع المناطق الأخرى المشار إليها، تضمن عددًا أكبر من السكان للدولة المزمعة التي صارت قائمة بحكم الأمر الواقع أو ما يُعرف في القانون الدولي بالـ "De Facto" منذ العام 2003م (كركوك وحدها بها 750 ألف نسمة من الأكراد والعرب والأيزيديين وغيرهم) وغير ذلك من المفردات التي تجعل من كردستان العراق، كيانًا كوزمبوليتانيًا قادرًا على إدارة أموره بشكل منفرد ومستقل، في مستوى الدولة.

ولذلك، كان من بين السياسات التي تبناها صدام حسين في كركوك بعد وضوح أطماع الأكراد فيها، ضمن سياسات مشروعهم الانفصالي، هو ما يُعرف بسياسة "التعريب" أو ما أطلق عليه خصوم نظام صدام حسين مصطلح "التهجير"؛ حيث عمد إلى نقل عشائر وعائلات عربية من مناطق الوسط والجنوب، وتوطينها في كركوك لموازنة الثقل الديموجرافي الكردي هناك، وسنغ الطابع العربي على المدينة.

ولقد تعرضت هذه العائلات إلى اضطهاد في مرحلة ما بعد الغزو الأنجلو أمريكي للعراق، في العام 2003م، وجرى طرد عدد كبير منها إلى مناطقهم الأصلية في وسط وجنوب البلاد.

وفي هذه النقطة؛ فإن مشروع الاستفتاء الكردي في السياق الجيوسياسي المُحدّد، إنما يمثل خطرًا كبيرًا على الدولة العراقية الراسخة في عمق التاريخ؛ حيث ضمن طيلة قرون طويلة، مكونات دينية وطائفية وقومية عدة، ما بين عرب وأكراد وأيزيديين وسنة وشيعة، وغير ذلك من المكوّن العراقي المعروف عبر التاريخ.



# مركز سام للدراسات الإستراتيجية SAM CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

وهي نقطة البدء في مناقشة هذا الحدث الكبير؛ حيث سوف تعتمد هذه الورقة لوضع القرار الكردي الجديد في سياقات السياسات التي تتبناها القوى الاستعمارية في عالمنا العربي والإسلامي، منذ البداية، والتي تقوم على أساس التفتيت والتجزئة، وإشغال الدول العربية والإسلامية بصراعات بينية وداخلية، من أجل تدميرها وتعطيلها عن مسارات النهوض والتنمية.

## "سايكس بيكو 2" .. حقيقة لا خيال:

في نوفمبر الماضي، وبعد انتخابه رئيسًا للولايات المتحدة؛ أجرت صحيفة النيويورك تايمز حوارًا مع دونالد ترامب، قال فيه عبارة لافتة للغاية، وهو يتحدث عن سياساته المرتقبة في المجال السوري.

ترامب قال: "ليس من مهمة الولايات المتحدة خلق أممًا جديدة"، وذلك في معرض تعقيبته على سياسات سلفه السابق، باراك أوباما.

حديث ترامب أثبت بجلاء كيف أن دولاً كبرى، ومن بينها المحور الأنجلو ساكسوني، قد استغلت حالة الفوران الشعبي التي بدأت في تونس، وعمّت الكثير من الدول العربية، وتوظيفها من أجل تحقيق مستهدفات قديمة أُطلق عليها في الأدبيات السياسية مصطلح "سايكس بيكو - 2"، أو بمعنى أدق، المرحلة الأولى لهذه الاتفاقية التي وقعتا بريطانيا وفرنسا في العام 1916م، قسّمت فيه المشرق العربي إلى دول ومناطق نفوذ وفق مصالح متفق عليها بينهما في ذلك الحين، باعتبار أنهما كانتا القوتين العظميين في عالم ما بعد الحرب العالمية الأولى، بعد عودة الولايات المتحدة لسياسة الانكفاء على الذات.



# مركز سام للدراسات الإستراتيجية SAM CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

أعقب هذه الاتفاقية، اتفاقية أخرى كانت بمثابة إطار تنفيذي لها، وهي اتفاقية "سيفر" التي تم توقيعها في العام 1920م.

إدًا؛ فالقصة لم تبدأ منذ أن ما يُعرف بالربيع العربي، في تونس، في ديسمبر 2010م، وحتى لم تبدأ منذ أن أعلن الأمريكيون فكرة الفوضى الخلاقة، ضمن ترتيبات مكافحة ما يطلقون عليه مصطلح الإرهاب الدولي، بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م.

ولو أخذنا العراق نموذج حالة باعتباره النموذج الحاضر معنا الآن، فما جرى في العراق بعد الغزو الأمريكي البريطاني؛ كان تفكيكًا لأركان الدولة العراقية المركزية، وتقسيم العراق فعليًا بين شمال كردي ووسط وجنوب عربي سُني - شيعي متناحر، وتحول العراق القومي الموحد القوي إلى بلد ضعيف مأزوم يدور في فلك السياسات الأمريكية.

وهذا ليس بغريب؛ فمن بين أهم السمات التي تتسم بها السياسات الاستعمارية، في أي زمان ومكان، هي سياسة التقسيم، إعمالاً لمبدأ استعماري شهير، هو مبدأ "فرق تسد"، فالتجزئة تضمن مواجهة كيانات ضعيفة مشتتة، غير قادرة على الفعل الإيجابي أو الأداء الفعّال ضد القوى الأجنبية التي إما تسعى إلى احتلال هذه الكيانات بشكل مباشر، أو السيطرة عليها بوسائل أخرى، سياسية واقتصادية، وغير ذلك.

واتفاقية "سايكس - بيكو"، بمرحلتها الثانية التي بدأت بعد مائة عام من توقيع الاتفاقية؛ أبرز نموذج على ذلك.

والمبدأ الرئيسي الآن للمرحلة الجديدة منها، يقوم ببساطة على أساس تفكيك المركزيات القوية والكبيرة الموجودة في المنطقة، مثل مصر وتركيا - وهي البلد الثاني المستهدف بالخطوة الكردية الأخيرة بعد العراق - وكما نرى في سوريا، وفي غيرها من بلدان المنطقة.



# مركز سام للدراسات الإستراتيجية SAM CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

كما لا ينفصل عن ذلك ما يجري في الوقت الراهن في اليمن؛ حيث تلعب القوى الكبرى من خلال وكلاء إقليميين ومحليين في اليمن ذاته، كما نرى فيما يُسمّى إعلامياً بـ"الحراك الجنوبي"، و"الحراك الحضرمي"، على فصل الجنوب عن الشمال مرة أخرى، وتفكيكه إلى دويلات طوائف متناحرة، تخدم مصالح الأطراف الإقليمية الإستراتيجية والاقتصادية.

## مشروعات التفكير وسياقات الاستفتاء الكردي:

تُعتبر أفكار الأكاديمي الأمريكي البريطاني برنارد لويس<sup>(1)</sup>، من بين أهم وأوضح ما تم طرحه في هذا السياق، وكاشف بالفعل في هذا الذي نقول.

بدايةً، تشير الشواهد إلى اهتمام كبير من جانب لويس بالعالم العربي والإسلام منذ السنوات الأولى لدراسته الأكاديمية.

فقد التحق بكلية الدراسات الشرقية، والتي تعرف الآن بكلية الدراسات الشرقية والأفريقية، وتخرج فيها عام 1936م حاملاً شهادة الليسانس في التاريخ، مع تخصص فرعي في دراسات الشرق الأوسط والأدنى، وبعد ذلك بسنوات ثلاث، حصل على الدكتوراه من نفس الكلية في التاريخ الإسلامي، بعد أن عمل فيها أستاذًا مساعدًا للتاريخ الإسلامي.

وكانت لخدمة "برنارد لويس" في الجيش البريطاني، بخاصة في الهيئة الملكية للمدرعات، وفي المخابرات البريطانية في الحرب العالمية الثانية، ثم في وزارة الخارجية بعد

(1) وُلِدَ لويس في 31 مايو من العام 1916م، لأبوين يهوديين، في ضاحية ستوك نيوينجتون في العاصمة البريطانية لندن، ويقوم في الولايات المتحدة منذ العام 1974م، وحصل على جنسيتها في العام 1982م، وقد تزوج من روث هيلين أوبنهايم في العام 1947م، وله منها ابن وابنة، وقد انفصلا عام 1974؛ أي نفس العام الذي انتقل فيه للإقامة في الولايات المتحدة، والتي لا يزال يقيم فيها حيث يعمل أستاذًا فخريًا لدراسات الشرق الأوسط في جامعة برينستون.



# مركز سام للدراسات الإستراتيجية SAM CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

الحرب، دور كبير في انجذاب الأمريكيين له، فقد استفاد من خلفيته الأكاديمية في التاريخ الإسلامي ليذهب إلى تركيا ويقوم بدراسة الوثائق الصادرة عن الدولة العثمانية في الفترة التي سبقت انهيار الخلافة الإسلامية على يد كمال أتاتورك.

ثم مزج هذه الخلفية بخبرته في العمل السياسي والأمني؛ ليخرج بنظريات يوضح فيها الكيفية التي يجب على الغرب أن يتعامل بها مع المسلمين، مستلهماً نموذج كمال أتاتورك في تحطيم الهوية الإسلامية في تركيا.

فمثلاً، يرد برنارد لويس أحد رموز مدرسة المحافظين الجدد في الولايات المتحدة، ومؤسسها الحقيقي، كل المواجهات التي وقعت في التاريخ بين الإسلام والغرب إلى صراع الحضارات.

وهي الفكرة التي كان أول من أطلقها، فيما قام المفكر الأمريكي صمويل هنتنجتون بالترويج الإعلامي والأكاديمي لها.

وكان لويس، في هذا الإطار، من الذين ساهموا في صياغة الاستراتيجية الأمريكية إزاء غزو العراق باعتبار أن ذلك من عوامل "تحرير العالم العربي من الطغيان".

ولا تعتبر هذه الكلمات مبالغة وتحميراً للويس أكثر مما يحتمل، فقد ذكرت صحيفة "وول ستريت جورنال" الأمريكية أن المبرر الرئيسي للحرب على العراق هو ما أسمته بـ"عقيدة لويس"، التي تؤكد ضرورة تدخل الغرب في الدول الإسلامية عسكرياً للتخلص من الأطر الإسلامية الحاكمة، فيها ونشر العلمانية كوسيلة للحكم، مشيرةً إلى أن تلك "العقيدة" كانت



# مركز سام للدراسات الإستراتيجية SAM CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

المنقذ للأمريكيين بعد اكتشاف زيف زعمهم بوجود أسلحة للدمار الشامل في العراق، وهو المبرر الرئيسي الذي انطلقت الحرب على العراق تحت لوائه<sup>(2)</sup>.

ولقد عادت مشروعات تقسيم الدول العربية والإسلامية، التي دعا إليها لويس، كأحدى وسائله التي أشار إليها لتحسين إمكانية سيطرة الغرب على العالم العربي والإسلامي، إلى ساحة النقاش بقوة في الفترة الأخيرة، بعد مقالة حديثة للكاتب الأمريكي روبن رايت، نشرها في النيويورك تايمز الأمريكية، في أكتوبر 2013م<sup>(3)</sup>، أرفقها بما وصفه خريطة جديدة لخمس من دول المنطقة أعيد تقسيمها إلى أربع عشرة دولة، على أساس طائفي وإثني.

ويصف البعض ما طرحه رايت بأنه مشروع "سايكس - بيكو" جديد، تعتمد القوى الدولية إلى تحقيقه في المنطقة من خلال إنهاء دول وشعوب المنطقة بصراعات طائفية وإثنية.

مقال رايت المنشور تحت عنوان "كيف يمكن لخمس دول أن تصبح 14 دولة"، يعيد رسم خريطة الشرق الأوسط الجيوسياسية، في تكرار لتنظيرات سبق أن أطلقها لويس في الثمانينيات والتسعينيات الماضية، وأعاد إطلاقها بعد غزو العراق واحتلاله عام 2003م، ورددها وطورها صمويل هنتجتون، لتصبح بمثابة عقيدة سياسية للمحافظين الجدد فيما يخص السياسات الأمريكية في البلدان العربية والشرق الأوسط.

ويستند الكاتب رايت في مقالته، والخريطة المرفقة بها، إلى قراءة الشكل الظاهري للصراع في العراق وسوريا؛ حيث يُقدّم الكاتب الأمريكي الأزمة هناك وما يرافقها من صراعات

(2) "المستقبل" اللبنانية، 24 نوفمبر 2004م.

(3) راشد، عامر: التنظير لإعادة تقسيم البلدان العربية من برنارد لويس إلى روبن رايت، للمزيد طالع:

<http://anbamoscow.com/opinions/20131001/386066346.html>





# مركز سام للدراسات الإستراتيجية SAM CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

كصراع طائفي إثني له جذوره التاريخية، ويسير ضمن صيرورة تاريخية تفرض نفسها لتصحيح أخطاء وقعت في الماضي"، حسبما قال برنارد لويس من قبل (4).

ويقول رايت في مقالته والخريطة المرفقة بها، إن الصراعات الحالية أو المستقبلية، ستفضي إلى تقسيم خمسة بلدان عربية لتصبح أربعة عشر كياناً طائفيًا وإثنيًا.

فأولاً "تنبأ" رايت بأن سوريا سوف يتم تقسيمها إلى ثلاثة دويلات، دويلة كردية (كرديستان الغربية) في منطقة القامشلي، وبعض مناطق شمال سوريا، ومصيرها مستقبلاً الانضمام إلى كردستان العراق. ودويلة علوية تمتد من اللاذقية شمالاً ومناطق من حمص في الوسط ودمشق ودرعا والسويداء في أقصى الجنوب. ودويلة سُنيّة تشمل باقي المناطق السورية، ويمكن أن تتحد مستقبلاً مع المناطق السُنيّة في العراق.

كما "قسّم" رايت العراق إلى ثلاث دويلات أيضاً، دويلة كردية في الشمال، ودويلة سُنيّة في الوسط والغرب، ودويلة شيعية في الجنوب. أما السعودية فسوف تُقسّم - برأيه - إلى خمس دويلات، وليبيا إلى ثلاث دويلات، واليمن إلى دويلتين.

وهناك عدد من الأمور الملفتة في مقال رايت، الأول: أنه لم يأت على ذكر مصر والسودان، بالرغم من أن السودان قد دخل مرحلة التقسيم بالفعل، وأن مصر مرشحة منذ فترة طويلة للتقسيم.

الأمر الثاني: أن المقال "توقّع" اندلاع صراع في المملكة العربية السعودية، بناء على ما يراه هو من مؤشرات قائمة، بسبب ما أسماه بعدم استجابة النظام السعودي للإصلاحات المطلوبة في مواجهة رياح ثورات الربيع العربي، مع وجود نقاط توتر كبرى في الشرق ذي

(4) المصدر السابق.



# مركز سام للدراسات الإستراتيجية SAM CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

الكثافات النفطية والشيعية في الوقت ذاته، وفي الجنوب؛ حيث الأزمة في اليمن تلعب دورها، بمشاركة أطراف إقليمية ودولية، وخصوصًا إيران والولايات المتحدة.

الأمر الثالث الملفت في مقال رايت، أنه تجاوز - عمدًا أو سهوًا - عددًا من الحقائق القائمة على الأرض، فيما يتعلق بالواقع الديمغرافي، والخريطة الطائفية والإثنية لدول المنطقة، وكذلك الاعتبارات التي يمكن أن تحكم مثل هذا الوضع، ومن بينها أن الشعوب نفسها، قد لا تقبل بواقع التقسيم، وهو أمر ثبت بالفعل في مشهد "سايكس - بيكو"؛ حيث تم تعديل حدود تقسيم المنطقة ودولها في ذلك الحين، من جانب بريطانيا وفرنسا، تبعًا لمقاومة الشعوب لهذه المخططات، لصالح كيانات وطنية عابرة للطوائف والمذاهب.

كما لم تكن هذه الطوائف والمذاهب في أية مرحلة من مراحل تاريخ المنطقة، أساسًا لتقسيم جيوسياسي.

ولفهم مقال رايت، نشير هنا إلى مقولة مهمة لبرنارد لويس، أطلقها خلال مقابلة إعلامية أجريت معه في 20 مايو 2005م، جاء فيها<sup>(5)</sup>: "الحل السليم للتعامل مع العرب هو إعادة احتلالهم واستعمارهم، وتدمير ثقافتهم الدينية وتطبيقاتها الاجتماعية، وفي حال قيام أمريكا بهذا الدور؛ فإن عليها أن تستفيد من التجربة البريطانية والفرنسية في استعمار المنطقة، لتجنّب الأخطاء والمواقف السلبية التي اقترفتها الدولتان، إنه من الضروري إعادة تقسيم الأقطار العربية والإسلامية إلى وحدات عشائرية وطائفية، ولا داع لمراعاة خواطهم أو التأثير بانفعالاتهم وردود الأفعال عندهم".

(5) عامر، المصدر السابق.



# مركز سام للدراسات الاستراتيجية SAM CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

الملفت؛ أن لويس مهّد لمقولته بتوقع قيام حركات شعبية عربية وإسلامية معارضة، أسماها بـ"موجات بشرية إرهابية تدمّر الحضارات، وتقوّض المجتمعات"، وكان - بطبيعة الحال - في خلفيته وهو يقول ذلك، مشروعه لتفتيت المشرق العربي ودول شمال أفريقيا، والذي وفق عليه الكونجرس الأمريكي عام 1983م، وإدراجه في الخطط الاستراتيجية للولايات المتحدة على المدى الطويل!

وفي هذه المقابلة، قال ما نصّه أيضًا (6): "يجب أن يكون شعار أمريكا في ذلك، إمّا أن نضعهم تحت سيادتنا، أو ندعهم ليدمروا حضارتنا، ولا مانع عند إعادة احتلالهم أن تكون مهمتنا المعلنة هي تدريب شعوب المنطقة على الحياة الديمقراطية، وخلال هذا الاستعمار الجديد لا مانع أن تقدم أمريكا بالضغط على قيادتهم الإسلامية - دون مجاملة ولا لين ولا هودة - ليخلصوا شعوبهم من المعتقدات الإسلامية الفاسدة؛ ولذلك يجب تضيق الخناق على هذه الشعوب ومحاصرتها، واستثمار التناقضات العرقية، والعصبية القبلية والطائفية فيها، قبل أن تغزو أمريكا وأوروبا لتدمر الحضارة فيها!"

## الخيارات التركية.. المستحيلة!

هذا هو السياق الذي يجب أن يتم وضع القرار الكردي فيه، ويبقى أهم أمر، وهو الخيارات التركية في هذا الصدد.

(6) شهاب الدين، فتحي: مخطط برنارد لويس لتفتيت العالم الإسلامي، للمزيد طالع:

<http://connaitreislam.over-blog.com/article-75588204.html>



# مركز سام للدراسات الإستراتيجية SAM CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

لا يبدو أن تركيا قادرة على وقف زحف المشروع الكردي، في ظل الدعم الأمريكي الكامل والواضح له.

فوحدات حماية الشعب الكردي التي انضمت قبل بضعة أشهر لقوات سوريا الديمقراطية، والتي يمثل الأكراد عمودها الفقري، وتعتبرها أنقرة الجناح المسلح لحزب الاتحاد الديمقراطي الكردي السوري، والذي تعتبره بدوره الامتداد السوري لحزب العمال الكردستاني؛ تتلقى دعماً عسكرياً أمريكياً ثقيلاً وصل إلى مستوى راجمات الصواريخ والمدرعات، يُضاف إلى الدعم الذي تتلقاه قوات سوريا الديمقراطية من واشنطن، الأصل.

كما تسبغ واشنطن حمايتها على هذه القوات بشكل رسمي، وهذا بدا في الموقف الأمريكي خلال الاشتباكات التي وقعت بين الجيش التركي ومرتزقته في سوريا، مثل ما يُعرف بالجيش السوري الحر، وفيلق السلطان مراد، في مطلع هذا العام، من أجل طرد الأكراد من مناطق تمركزهم في غرب الفرات، في عفرين ومنبج؛ حيث تعتبر أنقرة ذلك بمثابة خطأ أحمر لأنها القومي لا ينبغي تجاوزه؛ حيث يحقق ذلك اتصالاً جيوسياسياً بين مناطقهم في الحزام الشمال لسوريا، وكذلك بين مناطق سيطرتهم مع مناطق تواجد أو سيطرة حزب العمال الكردستاني في جنوب شرق تركيا.

فالولايات المتحدة تدخلت وضغطت على أنقرة لوقف الضربات المدفعية والقصف الجوي على هذه المناطق، وحددت سياقاً لا تتجاوزه القوات التركية المتمركزة في شمال سوريا، في حيز لا تخرج عنه.

كما لا يخفى على أحد الدعم الأمريكي والإسرائيلي لمشروع الدولة الكردية، بل إن مصطفى البارزاني، والد مسعود البارزاني، كان صديقاً مهماً للمنظمة الصهيونية العالمية، وحصل على دعم مالي واستخباري كبير، استمر حتى بعد قيام إسرائيل، وقال بن جوريون إن



# مركز سام للدراسات الإستراتيجية SAM CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

هناك تشابهاً كبيراً بين "طموحات الأكراد في وطن قومي لهم في مناطق تواجدهم التاريخية"، وبين "طموحات اليهود في وطن قومي لهم في فلسطين".

وفي حقيقة الأمر؛ فإنه لا تبقى أمام تركيا خيارات واضحة للتعامل مع الموقف؛ حيث وصل المشروع الكردي في شمال العراق، وفي سوريا، على وجه الخصوص إلى مرحلة حرجة لا يمكن وقفه فيها، إلا بحرب مباشرة، وتركيا غير قادرة عليها لا عسكرياً ولا سياسياً في ظل هكذا وضع كما سبق تشريحه.

وأبلغ مؤشر على ذلك، أن تركيا لم تستطع أن تتحرك خطوة واحدة فيما كان قد سبق وأعلنته في شأن إخراج الأكراد من عفرين ومنبج، وفي معركة الموصل الحالية، لم تستطع تركيا مجرد الخروج من معسكر بعشيقه شمال العراق، وتم ذلك بضغط - للغربة - أمريكية إيرانية، اتفقت فيها واشنطن وطهران فيما تفعلاه حتى ولو لم تنسقا فيما بينهما بشكل مباشر.

وفي حقيقة الأمر؛ فإن تركيا تدفع من أمنها القومي، ثمن أمرين هنا؛ الأول هو تأخر تحركها في شمال سوريا؛ حيث فضل الرئيس التركي رجب طيب أردوغان تأخير هذه الخطوة لاعتبارات حزبية ومصالح تخص مشروع السياسي الداخلي في تركيا، والثاني، تماهيه مع سياسات إدارة أوباما في المنطقة إزاء دول الأزمات العربية، وخصوصاً سوريا.

وربما هناك مفارقة قدرية لافتة؛ أن أوباما الذي حظي بدعم كامل من أردوغان ومخابراته في الحرب الحالية في سوريا، هو الذي أمر بتسليح القوات الكردية الحالية التي تحتمي خلف محاربتها لتنظيم الدولة "داعش"؛ فيكون قتالها، دعماً مباشراً للتنظيم، وبالتالي؛ لو قامت تركيا بذلك؛ فإنها سوف تؤكد تقارير دولية تتهم أنقرة بدعم "داعش" وتنظيمات أخرى مصنفة إرهابية، في سوريا.



# مركز سام للدراسات الإستراتيجية SAM CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

وثار هذا الملف مجدداً في الإعلام الدولي، بعد الحكم الذي صدر عن محكمة تركية قبل أيام، على النائب عن حزب الشعب الجمهوري التركي، بربير أوغلو بتهمة التجسس السياسي والعسكري.

وهذا النائب هو من سرب مقطع الفيديو الشهير الذي نشرته صحيفة "حرييت" التركية الخاص بقضية توقيف السلطات التركية نفسها شاحنات تتبع جهاز الاستخبارات كانت تحمل أسلحة إلى تنظيم "داعش" في سوريا في 19 يناير 2014م.

السلطات التركية - لأمانة النقل - تقول إن الشاحنات الثلاث كانت تحمل إغاثة للشعب السوري، وأن عناصر المخابرات التركية التي كانت ترافقها؛ كانت لحمايتها، ولكن من المعروف عن الإجراءات السليمة في هذه الأحوال، أن تقوم عناصر القوات المسلحة بحماية مثل هذه القوافل وليس عناصر استخبارات.

والإعلام التركي نفسه وقتها، قالوا إن الأمر يتعلق بأسلحة؛ لا مساعدات، ويبدو أن أردوغان بالفعل كان لا يثق في قيادات جيشه في مثل هذه المهام السوداء، فأوكلها إلى جهاز مخابراته، الذي يرأسه رجله القوي، خاقان فيدان.

.....

في هذا الإطار، يبدو المشروع الكردي - مثلما تم في جنوب السودان - ماضياً في طريقه، وحتى لو أشعلت أنقرة أو بغداد حرباً لأجل وقفه؛ فإن دماء أكثر من أربعة ملايين شخص سقطوا في الحرب الأهلية السودانية، حتى انفصل جنوب السودان عن الوطن الأم؛ تقول بأن كل ذلك لن يجدي فتيلاً، وهي في النهاية، مسؤولة أنظمة وحكومات فرطت، وسمحت لمؤامرات بهذا القدر من الخطورة والدموية، وبهذا القدر من الوضوح أن تستمر!..



# مركز سام للدراسات الإستراتيجية SAM CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

\*.\*.\*.\*.\*.\*.\*

تم الموضوع بحمد الله تعالى..

أحمد التلاوي: باحث مصري في شؤون التنمية السياسية، وكاتب أساسي في مركز سام للدراسات الإستراتيجية

